الباب السادس

حقـــوق الطفـــل في الإســـلام

الفـــصـــل الأول : الأطفال الأمانة والمسؤولية الحقوقية.

الفصـل الثانـــي : مبادىء حقوق الطفل في الإسلام.

الفصـل الثالـث : حقوق الطفل في المملكة العربية السعودية.

الفصـل الرابـــع : تربية الطفل على مبادىء حقوق الإنسان في مناهج التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية.

الفصل الأول

الأطفال الأمانة والمسؤولية الحقوقية

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ .

- قال رسول الله ﷺ: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن» .

- يقول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود: «الأطفال والناشئة فلذات الأكباد وأمل المستقبل فيجب تربيتهم وتوجيههم إلى ما فيه حب الدين والوطن ومكارم الأخلاق» .

- يقول الباحث الفرنسي المعاصر جاك ريسلر Jack S. Restler : «الأسرة الإسلامية ترعى دائماً الطفل وصحته وتربيته رعاية كبيرة، وترضع الأم الطفل زمنا طويلاً، وأحياناً لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة، وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة وأصبحوا ينامى فإن أقرباءهم المقربين لا يترددون في مساعدتهم وفي تبنيهم».

الأطفال الأمانة والمسؤولية الحقوقية

الحديث عن حقوق الطفل في معظم الدراسات والبحوث العلمية يكاد يكون متشابهاً في مفردات موضوعة وعناصر مكوناته فيما يتصل بالمباديء الحقوقية للإنسان الطفل مثل الحق في الحياة والحضانة والتعليم والتربية، وحقوقه الاجتماعية والمالية، كل هذه الأمور تضمنها إعلان الطفل الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة رسمياً في ١٩٥٩/١١/٢٠م بموجب القرار ١٣٨٦ د ـ ١٤، وقد تضمن الإعلان حقوق الطفل في المساواة والكرامة ووجوب تمتع الطفل بالنمو العقلي والجسمي والخلقي والروحي والاجتماعي، وأن يكون للطفل اسماً وجنسية ويعتني بتعليمه وتنشئته، وأن يربى على روح التفهم والتسامح، والصداقة بين الشعوب، ويربى أيضاً على السلم والأخوة العالمية وعلى الادراك التام لوجوب تكريس طاقته ومواهبه لخدمة إخوانه البشر، هذه المفردات الحقوقية وغيرها احتفت بها الشريعة الإسلامية برؤيتها الإنسانية قبل خمسة عشر قرناً مما سنتناوله في هذا الباب مبتدئين بتعريف معنى الطفل ومفهومه : الابن الصالح والابنة الصالحة، والابن غير الصالح والابنة غير الصالحة من واقع تاريخ الأديان السماوية والتشريعات الإلهية، فالابن الصالح والابنة الصالحة والعكس هما ثمرة التربية التي تعرف عندما تنضج، فكان إبراهيم النبي عليه السلام صالحاً بما حباه الله واصطفاه وجعله خليلاً له فانعكس صلاحه على أبيه يطلبه ألا يكون جباراً شقياً تاركاً توحيد الله مبتغياً الشرك وعبادة الأصنام، فالقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ولا معقب لحكمه جل جلاله. ولعل مراجعة عامة لبعض الأدبيات الإسلامية التي تتحدث عن الطفل مثل كتاب: (أيها الولد) للإمام أبي حنيفة، وبعض الفصول في : (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد محمد الغزالي، وكذلك كتاب ابن القيم : (تحفة المودود بأحكام المولود)، وكتاب: (أدب الدنيا والدين) للإمام الماوردي، وكتاب: (آداب المتعلمين) لابن سحنون، كل هذه الكتب وغيرها تناولت الحديث عن حقوق الطفل وتربيته،

وهذه الحقوق فيها كثير من التداخل والترابط جاءت مجملة في إتفاقية الطفل الدولية المبدأ الثاني منها بأن تتاح للطفل حقوق نموه الجسمي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي نمواً طبيعياً في جو من الحرية والكرامة ، وسوف يكون تناولنا للموضوع لهذه الرؤية التربوية الإنسانية الإسلامية في هذا الباب من الموسوعة بقصد تأصيل تلك الحقوق التي طالما جهل بها الجاهلون وتغافل عنها المرجفون والمبطلون.

١ ـ الطفل : المعنى والمفهوم

أنعم الله سبحانه وتعالى على خلقه مسلمهم وكافرهم بنعم ظاهرة وباطنة، سخر لهم ما في السموات والأرض وما في البر والبحر، وآتاهم من كل ما سألوه، خلق آدم عليه الصلاة والسلام وخلق له من نفسه حواء أنيساً للمودة والرحمة والسكن والألفة، ثم تفضل عليهم بزينة الحياة الدنيا من الذرية التي منها تفرعت القبائل والشعوب والأمم وكلفت بعمارة الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

و في فصل سابق من هذه الموسوعة تحدثنا عن حقوق الإنسان قبل الميلاد وهي حقوق لكل إنسان قبل ميلاده، وتزيد هذه الحقوق للإنسان بعد ميلاده وتستمر طيلة حياته شاباً ثم راشداً ثم شيخاً وفي دورة حياته المختلفة ولا تنتهي حقوقه حتى بعد موته إذ تستمر حقوقه مصونة بحق الإسلام إلى يوم البعث والنشور ويوم الجزاء بنعيم مقيم في جنات النعيم أو بعذاب السعير في جهنم وبئس المصير. ولئن كان الإسلام قد جعل للإنسان حقوقاً قبل ميلاده فهو أولى بكثير من الحقوق في حياته على هذه المعمورة، فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه القواعد الأصولية في الإسلام، تبين مسؤولية تربية الأطفال فأبناؤنا أكبادنا تمشي على الأرض. والتربية العقدية الشرعية للمولود هي أهم بكثير من التربية الجسدية والذي يجعلنا نقول بأهمية التربية الدينية هو ما يظنه بعض الآباء

والأمهات بأن رعاية الطفل في غذاءه وملبسه وتربية جسده أهم من الدين، مع أن أصل خلق الخلق لأداء حق الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده بالألوهية والربوبية جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: **« يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك »**[2]، وأورد ابن كثير ما جاء في بعض الكتب التي أوحى الله بها إلى أنبيائه وفيها يقول تعالى: **«ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء»**[3].

إذن فأول حق للطفل على والديه أن يتعهداه بالتربية الإسلامية الصحيحة بتعريفه بأركان الإسلام والإيمان والإحسان. لأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وتربية الأطفال وحفظ حقوقهم عملية دينية شرعية، ودنيوية اجتماعية شاقة، قال رسول الله ﷺ: **«بروا آباءكم تبركم أبناءكم»**[4]. ليستحق الوالدين الرحمة من دعاء ولدهم، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[5]، وهذا يعتمد على ما يقدمه الوالد لولده بتعريفه بحقوق ربه وواجباته نحو الخالق ثم حقوق الخلق وواجباته نحوهم، والحفاظ على هذه الحقوق وأدائها على أكمل وجه، فمن حق الطفل وواجب الوالدان عليه أن يُنَبهْه من رفاق السوء وأن يبتعد عن مكامن الخطر ومظان الزيغ والانزلاق، لأن الأبناء أمانة عند أبويهم، عليهم أن يتعهدوهم بحسن التربية، ويعودوهم على الخير ويعلموهم إياه لينشأوا عليه، وتكون المثوبة لأبويهم. وإن يهملوهم يَشْقَوْا ويهلكوا، ويكون الوزر على والديهم، وقبل أن نتحدث عن الطفل وحقوقه لابد أن نتساءل عمن هو الطفل في الإسلام؟ الطفل هو الابن والابنة والحفيد والحفيدة، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٦]، وأورد ابن كثير ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في حديث عن هذه الآية : «بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك» ، قال الشاعر جميل بثينة :

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

والطفل هو المولود الصالح الذي يكون صالحاً بصلاح الأبوين اللذان اختار بعضهما البعض على ميزان الدين والحق وليس على ميزان المادة والدنيا ونقدم هنا أمثلة للابن والابنة الصالحة والابن والابنة غير الصالحة.

١ ــ **الابن الصالح،** هو الذي يعلم حق ربه وحق عباده، مثل إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان مشفقًا على هلاك أبيه وتعاليه على الله، فقال إبراهيم لأبيه ناصحاً له بعدم الشرك بالله وعبادة غير الله من الأوثان والجان كما ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[٧] ، إنه الابن الموحد نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يدعي كثير من أهل الكتاب الانتساب إليه ديناً ونسباً وهم على خلاف ملته الحنيفية، ولكن بالكبر والاستعلاء أضاع هذا الأب حق ربه، وأضاع حق نفسه بإضاعة عبوديته وخضوعه لله، ولم يكن أبًا صالحاً لابنه الصالح إبراهيم ﷺ الذي حفظه الله وعصمه من عبادة غيرالله سبحانه وتعالى، إذ أن الأب كان قاسيًا ليس مع الحق في حفظ حقوق ربه ورب ابنه ، بل أساء وأمعن في الكفر فخاطب ابنه إبراهيم كما ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[٨]، يريد زجره وتعنيفه ، بل عقابه بالباطل ، فنعم الابن إبراهيم عليه الصلاة

والسلام الذي تنبأ النبوة فكان صديقاً نبياً فسبحان الذي يخرج الحي من الميت .

والابن الصالح هو الولد الذي يشهد بالحق والخير لوالديه. إنه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، المولود الذي اتُهمت أمه البتول الطاهرة العفيفة بالزنا من قومها بنو إسرائيل وهي بريئة منه، وما علم أسلاف من اتهموا العفيفة بالزنا أن أخلافهم هم أرباب دور البغاء والداعين للفواحش الجنسية بألوانها وأنواعها في عالمنا اليوم، الابن الصالح نبي الله عيسى ابن مريم، الابن الذي كان حمله وولادته وكلامه في طفولته آيات للذاكرين وعبرة للمعتبرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٩]، والآيات السابقة تبين صلاح الابن النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام العبد الصالح لربه الذي بلغ رسالته وهو الابن البر بأمه الذي حفظ حق ربه عبداً له وليس ولد له كما يزعم الزاعمون، وحفظ حق والدته وهو ابنها بقدرة الله الذي نفخ الله فيها فحملت به فعصمه الله إنساناً وجعله نبياً ورسولاً وكان آية الله في قومه مولود من أم وليس له أب .

٢ ـ **الابن غير الصالح** : هو ذاك الإنسان الذي لا يعرف لربه حقاً ولا يذعن لأوامره وينتهي عن زواجره وإن حرص أبوه على رعايته، إن مثله مثل يام الابن الرابع لنبي الله نوح عليه الصلاة والسلام الذي عرف حق ابنه في الحياة وأراد له الخير طالباً إياه أن يكون مع زمرة المؤمنين والمتقين ، ولم يرد له الهلاك والغرق والموت لابنه بما عذب الله قومه الذين كذبوه فكان الابن مثلهم في العصيان والكفر، عذبهم الله بالطوفان قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ

ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[١٠]، إن هذا الابن مثال واقعي للتآلي على الله وانتهاك حقوق الله ، إنه مثال للعقوق وإهدار حقوق والده، هذا ما أكده القرآن الكريم بوصف هذا الابن بأنه عمل غير صالح، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[١١]، كيف يكون ابن صالح وعمله وخلقه اتسما بالكبر والاستعلاء والجحود والكفر فقد انتهك حقوق ربه وأهدر حقوق والده، أليس حري بمثل هذا الإنسان أن ينتهك حقوق ما دون ربه ووالده ويتعدى الحدود؟ كما هو الواقع المشاهد من المستكبرين والظالمين في عالمنا المعاصر، وصفات الابن غير الصالح تنجر بالضرورة على كل إبنة غير صالحة.

٣ـ **الابنة الصالحة،** هي تلك الابنة التي تعرف الحياء والأدب والعفاف وتربى عن مخالطة الرجال غير المحارم فضلاً عن معاشرتهم بغير وجه حق أو بطريق غير مشروع، إن المثل الأعلى للابنة الصالحة هما بنتا نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام، التي تزوج إحداهما موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[١٢]، لقد جاءت

إحدى بنتي شعيب إلى موسى عليهما السلام وهي تمشي في خجل شديد مشي البنات الحرائر العفيفات مستترة في ثوبها على جسدها ووجهها لتدعوه لمقابلة أبيها، لقد حفظ الأب حق ابنتيه ولم يتركهما للإباحية وما يسمى بالحرية وتحرير المرأة، نعم حفظ الأب النبي شعيب ﷺ حق ابنته وعفتها ونسبها وحقوقها الزوجية، فاستأجر موسى لخدمته على طعام بطنه وعفة فرجه كما سبق أن ذكرنا، وكان زواجاً مباركاً وحملاً طيباً لم تضيع فيه الأنساب وتختلط فيه المياه.

وتعريف الابن الصالح والابنة الصالحة أو العكس (الطفل ذكراً كان أم أنثى) له شواهد كثيرة في الإسلام، حددت الشريعة الإسلامية الصلاح في الطفل من حيث علاقته بربه ومعرفة حقوقه جل وعلا، ومن حيث علاقته بوالديه ومعرفة حقوقهما، فقد يكون الأب صالحاً والابن عاق، وقد يكون الابن صالحاً والأب كافراً، وقد يكون الأب والابن صالحين والعكس، فلهذا جعل الإسلام قاعدة عظيمة في معرفة الحقوق وحفظها في علاقة الآباء بالأبناء والعكس كما جاء في قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[١٣]، وقد ذكر ابن عباس في ذلك قوله: «لأن الإنسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الأخروي أو هما من أبيه ما لا يأتيه من ابنه وقد يكون بالعكس»[١٤]. فالإسلام يحث الإنسان إلى أن يدعو ربه مبتهلاً كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١٥]، هذا أكبرُ همٍّ يهم الوالدين بأبنائهم وأزواجهم، إذ يدعون الله ويرجونه أن يرزقهم ذرية صالحة تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وهذا أصل الحقوق كلها للطفل، فبتوحيد الله تكون سعادة الطفل الذي يرعاه أبواه لتصلح دنياه وأخراه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية»**[١٦]، فصلاح الولد هدف غال ومطلب كريم في الإسلام، لأن الأطفال

أحلى متاع الحياة وأنضرها، هم فلذات أكبادنا وقرة أعيننا ومهوى أفئدتنا، قال الشاعر:

وإنمـــا أولادنـا بيننـــــا أكبادنـا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

وما أعظمها نعمة يمن بهـا الله على الإنسان حين يرزقه بالذرية الصالحة، تدرج بين يديه، وتتسـابق لاستقبـاله واسترضائه فـيزيلون عن قلبه هموم النهـار، ويزيحون عن كاهله تعب الحياة وكدرها، من أجلهم نكد ونعـمل وفي سبيل راحتهم نشقى ونتعب، ولتـوفير السعادة لهـم نضني أنفسنا وحالنا وننفق أموالنا، لـو غاب أحدهم اضطربت حالنا وأرقت عيوننا وتبلبلت أفكارنا وذهبت بنا الظنون كل مذهب، ولو أصابت أحدهم وعكة لظللنـا ليلنا ساهرين متألمين، ننظر بسعـادة إلى كل ما يصدر منهم من كلمات أو حركات، إذا ابتسم الطفل ابتسمنا، وإذا لوح بيديه امتدت إليه أيدينا مشـتاقة لتضـمه إلى صدورنا، نشمـه فنشم عطر الربيع وعبق الحيـاة، وأنفاس الزهر. نرنو إليه بقلوب ملؤها الأمل وهو يحبو فيزف إلينا فرحة بعـد فرحة، الطفل أمانة عند أبويه وهو معدن نفـيس خال من كل نقش وصورة، وقلبه الطاهر النظيف قـابل لما يلقى إليـه من خيـر أو شر، وقـد ثبت في علم النـفس أن الطفل بطبـيعتـه يحاكي ما يحدث في المجتمع الذي يحيط به حسناً كان أو قبيحاً، فهو يحاكي من يعـيشـون مـعه أو يتـصلون به، ولهـذا يجب أن يكون المَقَـلَّدْ قـدوة طيـبة ونموذجـاً حسنـاً، حتى لا يترك أثـراً سيئـاً في نفس الطفل المَقَـلِّد. والطفل يرى الشيء يُـفْعَل أمامه فيحاكيه ويكرره حتى يصير عادة له إن خير فخير وإن شر فشر.

٢ ـ الطفل: الأمانة والمسؤولية

ولقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الإحسـان إلى الأبناء وتربيتهم، وتنشئتهم بما هو خـير لـهم في معـاشـهم ومعـادهم، ولننظـر هنا في منهج تعليم الأطفـال في كتـاب بعثـة الخليفة الراشـد عمر بـن الخطاب رضي الله عنه إلى ساكني الأمـصار

يحدد فيه الإطار الرئيسي للتعليم والثقافة والتربية للناشئة بما أوجبه الله سبحانه وتعالى في حفظ حقوق الأطفال فيقول رضي الله عنه: «**أما بعد، فعلموا أولادكم السباحة، والفروسية، وَرَوُّوهُـمْ ما سار من المثل، وحسن من الشعر**»[١٧]، وهذا عتبة بن سفيان والي مصر يقول لمؤدب ولده: «ليكن إصلاحك بني إصلاحك نفسك، فإن عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء»[١٨]، وهذا الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك يقول لسليمان الكلبي في تأديب ولده: «إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله وأد الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روِّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصره بطرف من الحلال والحرام والخطب والمغازي»[١٩]، وأخيراً نسوق كلاماً نفيساً للإمام الغزالي في موضوع حقوق الأطفال وتربيتهم حيث كتب فصلاً في كتابه: (الإحياء) عنوانه : (بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)، فيقول: «إن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور، وأوكدها، والصبي أمانة والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش عليه، ومائل إلى كل ما يمال إليه، فإن عُوِّد الخير، وعُلِّمَه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب»[٢٠]، فهل نحن راعينا حق هذه الأمانة، وحافظنا على منهج التعليم والتربية الحقيقي لناشئتنا ؟ وهذا من أعظم الحقوق التي تؤدى إليه ، وليس الحقوق المادية من مأكل وملبس فحسب، فالحقوق المعنوية أهم للطفل إذ تجعل فيه العزة فيرفض الذل، وتجعل فيه الفضيلة فيستقبح الرذيلة ، وتعرفه الحق فتجعله يحارب الباطل.

جاءت الشريعة الإسلامية بما أوحى الله إلى رسوله محمد ﷺ بأن للأولاد أو الأطفال حقوقاً كاملة منذ أن يولدوا بل قبل أن يولدوا، وقبل أن يستودعوا في أرحام أمهاتهم مما لا نجد له مثيلاً في أي نظام من النظم الإنسانية الخاصة بحقوق الإنسان،

وحتى في بعض الشرائع السماوية الأخرى، وبطبيعة الحال حتى في كثير من القوانين الوضعية، فأوجب الإسلام للطفل حقوقاً ملزمة يتكفل بتنفيذها كل مسؤول في الأسرة أو المجتمع أو الدولة، لأن الأطفال هم النواة لأمتهم، وهم شباب الغد وشاباته ورجال المستقبل ونسائه، فالعناية بهم عناية بالأمة ورعايتهم رعاية لها، ومن حق الأولاد أن يكونوا المحور الذي تدور عليه عجلة حياة الأسرة ومركز عنايتها.

ويحافظ التشريع الإسلامي على الطفل منذ أن تدب فيه الحياة، وهو لايزال في بطن أمه وذلك بأن حَرّمَ الإجهاض، ذلك المنهج البغيض الذي سعى إليه دعاة الضلالة الداعين إلى الدعارة وإلى الزنا وهتك الأعراض والإباحية باسم الحرية. وبعد الولادة يحصنه وليه من الضياع بإثبات النسب له من والديه. وقد أثبت التشريع الإسلامي حق الطفل في الرضاع من ثدي أمه محافظة عليه من الهلاك بسبب الجوع ، وهذا من حقوقه الصحية والعاطفية التي حُرمها الطفل في كثير من دول العالم بسبب خروج الأم للعمل ، و إهمالها لأطفالها أو تركهم في أيدي المربيات أو الخادمات، وأدى إلى حرمانه من حقوقه الوجدانية التي تتكون فيه من الرضاع وما فيه من أسرار العواطف والسكن .

وأوجب الإسلام أيضاً على الوالدين القيام بحفظ أبنائهم والعناية بصلاحهم في فترة الحضانة، وذلك لاحتياجهم في فترة طفولتهم إلى من يرعى شؤونهم من المأكل والملبس والنوم وغير ذلك، كما أوجب العناية بالأبناء قبل بلوغهم سن الرشد وذلك برعاية شؤونهم في التأديب والتعليم، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهومسؤول عنهم، والمرأة راعية في بيت بعلها وهي مسؤولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**[٢١]، وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«ما نحل والد ولداً**

من نحل أفضل من أدب حسن»[٢٢]، وقد أدرك عقلاء المفكرين من غير المسلمين مدى اهتمام الإسلام بحقوق الطفل فهذا المفكر والباحث الفرنسي المعاصر جاك ريسلر يقول : «الأسرة الإسلامية ترعى دائماً الطفل، وصحته، وتربيته، رعاية كبيرة، وترضع الأم الطفل زمناً طويلاً، وأحياناً لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة، وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة، وأصبحوا يتامى، فإن أقرباءهم المقربين لا يترددون في مساعدتهم وفي تبنِّيهم»[٢٣]، وعن حقيقة تربية الأطفال في الإسلام ورعايتهم وبالأخص البنات يقول ريسلر : «يقوم تعليم البنات على تلقينهن تربية دينية قويمة، وعلى تعويدهن الصلاة، وجعلهن في وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية، وبعد سنوات أيضاً يعلمن قرض الشعر والفنون»[٢٤].

ومن الأدب الحسن والسلوك القَيِّم الواجب في الإسلام يُعلَّم الطفل كيف يأكل وكيف يشرب وكيف يعامل الناس وكل آداب السلوك ومسالك الأخلاق الفاضلة وحسن الأدب، ويعلَّم كيف يعيش بين الناس ويحسن عشرتهم وإن اختلفت أديانهم وألوانهم وأجناسهم وعناصرهم وألا يستعلي على الآخرين لعرض من أعراض الدنيا بكثرة المال أو العتاد، أو القوة أو أي أمر ينتج عنه خلق روح التمييز في نفس الطفل وهو بريء على فطرته فلا تفسد تلك الفطرة السليمة، وقبل ذلك كله يُعْلم الطفل الواجب عليه لربه جل جلاله وطاعة رسوله ﷺ، فيدخل في هذا تعليمه بما يناسب الزمان والمكان مع المحافظة على الدين وحفظ حقوق الناس، هذه هي الأسس الإسلامية عن مفهوم الطفل والذرية والمسؤولية المترتبة على إنجاب الأطفال وتربيتهم، وسيأتي مزيد تفصيل لكل هذه الأسس في الفصول اللاحقة من هذه الموسوعة استناداً إلى أحكام القرآن الكريم وآياته البينات وأقوال الرسول الرؤوف الرحيم وأحاديثه النيرات، وتلك الآيات والأحاديث ليست مجرد إرشادات وبيانات لفضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق، إنما هي قواعد لحقوق ومستحقات

وما نص عليها في قول الرسول ﷺ بكلمة حق وحقوق حيث قال : «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ**»[٢٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **قالوا يا رسول الله! قد علمنا ما حق الوالد على الولد، فما حق الولد على الوالد، قال : أن يحسن اسمه ويحسن أدبه**» [٢٦]، فمتى حَسُنَ أدب الطفل بمعرفة الفرائض والواجبات وما له وما عليه أمكنه معرفة الحقوق التي له وللآخرين.

إذن الذي جاء في الآيات والأحاديث السابقة من مبادئ حقوقية للطفل ليست جملة من الإرشادات والتوجيهات والآداب، بل هي مبادئ حقوقية أكدها لفظ (حق) في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للوالد والولد، فليعلم أي منكر يظن خلاف ذلك، وإلى مزيد بيان لمبادئ حقوق الطفل في الإسلام في الفصول التالية من هذه الموسوعة.